السنة: ثالثة ليسانس الفوج : الثاني

الدرس التاسع: بلاشير وتفسير القرآن الكريم

اجتهد المستشرقون الفرنسيون بشكل كبير في دراسة العادات والتقاليد والتراث الخاص بالمجتمعات العربية والإسلامية، وذلك من خلال أبحاث معمّقة تهدف إلى فهم جوانب القوة والضعف في تلك الثقافات .ومن بين المحاور الرئيسية التي ركزوا عليها كان الطابع الديني، باعتباره الأساس الأول في تشكيل هوية الفرد المسلم .من أبرز هؤلاء المستشرقين كان ريجيس بلاشير، الذي اهتم بالقرآن الكريم ولغته، وسعى جاهدًا إلى ترجمته ودراسة علومه . ومع ذلك، فإن تقييم مدى إنصافه أو تحيزه يتطلب فحصًا دقيقًا لمنهجه العلمي ومدى التزامه بأسس البحث الأكاديمي .يهدف هذا المقال إلى تقديم نظرة على كتابه وأدواته المنهجية التي استخدمها، خاصة في كتابه "القرآن ."كما يسعى للإجابة عن التساؤلات المثارة حول أهداف المستشرقين: هل كانت دوافعهم نابعة من اعتبارات أيديولوجية وتنطوي على نيات استعلائية، أم أنها عكست مقاربة أكاديمية وبحثية بحتة؟ ويُذكر أن بلاشير كان شخصية مثيرة للجدل، إذ نال تقدير البعض مثل محمد أركون الذي اعتبره صاحب رؤية متميزة وأثنى على مكانته العلمية .حتى مترجم كتابه "القرآن "أهداه إلى كل من يسعى لفهم موضوعي وعميق للقرآن الكريم. إضافة إلى ذلك، تم إصدار كتاب في عام 2019يمجد مساهمات بلاشير العلمية والثقافية، حيث قُدم كشخصية بارزة جمعت بين الحضارتين الغربية والشرقية، ورمز فكري يسهم في النور والتقارب بين الثقافات .ومع ذلك، فإن أصواتًا أخرى لم تتردد في نقده واعتباره ضمن قائمة من حاولوا الطعن والتشكيك .هذا التباين الكبير في الآراء يجعل من دراسة أعماله وتحليل منهجه أمرًا محوريًا لفهم حقيقته ومدى تأثيره الفعلي على الدراسات.

أولا: نشأته وأهم أعماله

بلاشير هو مستشرق بارز اشتهر بدراساته المتعلقة باللغة العربية والإسلام. نشأ بلاشير في بيئة أكاديمية، حيث اهتم منذ وقت مبكر بالتخصص في الدراسات الشرقية. وقد ركزت أبحاثه بشكل أساسي على القرآن الكريم، الأدب العربي الكلاسيكي، والتطور التاريخي للغة العربية .وظائف بلاشير العلمية تنوعت بين التدريس في الجامعات المتخصصة والإسهامات البحثية المهمة. اشتهر بترجماته ودراساته النقدية، التي أضافت قيمة كبيرة إلى فهم الثقافة الإسلامية والنصوص العربية لدى المجتمع الغربي. كما ساهمت أعماله في تعزيز التواصل الثقافي بين الشرق والغرب، متيحًا مزيدًا من الفهم والنقاش حول التراث الإسلامي والحضارة العربية.

بدأ اهتمام بلاشير باللغة العربية من خلال دراساته الأكاديمية، حيث تعمّق في فهم اللغة والتاريخ العربي والإسلامي. وقد تطور هذا الاهتمام ليصبح واحداً من أهم المتخصصين في مجال الدراسات الشرقية. كانت له العديد من الإسهامات البارزة التي تركت أثراً دائماً في ميدان الدراسات العربية والترجمات .من أبرز وظائف بلاشير كان عمله الأكاديمي كأستاذ متخصص في اللغة العربية وآدابها في جامعات فرنسية مرموقة. كما قام بترجمة نصوص عربية مهمة إلى الفرنسية، أبرزها ترجمته لمعاني القرآن الكريم، مما أضاف إلى الدراسات القرآنية منظوراً جديداً يعتمد على الفهم اللغوي والتحليل التاريخي للنصوص .وظائف بلاشير لم تنحصر فقط في الجانب التعليمي، بل شملت أيضاً البحث والتأليف والترجمة، حيث ترك لنا إرثاً فكرياً غنيّاً يعكس مدى شغفه باللغة والثقافة العربية. تأثير جهوده لا يقتصر على الأوساط الأكاديمية الفرنسية فقط، بل يمتد أيضاً إلى المستوى العالمي، حيث استفاد منه طلاب ومختصون في دراسة التراث العربي والإسلامي .للراغبين بالبحث بشكل موسع عن نشأة بلاشير ووظائفه يمكن الرجوع إلى كتاباته وأعماله المترجمة ومراجعة الدراسات التي تناولت سيرته وتحليل إسهاماته العلمية.

في الفصل الأول من كتاب تفسير القال، يتناول المؤلف موضوع بنية وتكوين المصحف بطرح موسع وتحليل دقيق .يبدأ الكتاب بتسليط الضوء على مفهوم كلمة "القرآن"، متتبعًا أصل الكلمة والذي يُرجّح عودته إلى السريانية .كما يناقش المؤلف تناقض الروايات المتعلقة ببدء نزول الوحي على النبي محمد، حيث استمر الوحي لمدة 23عامًا لم تخلُ بداياته من القلق والاضطراب الذي انعكست آثاره في جهاد روحاني وحربي أسس لجيل قادر على تحمل أعباء الرسالة .يسلط الكتاب الضوء أيضًا على جهود العلماء الألمان، لا سيما ترتيب نولدكه التاريخي للقرآن الذي قدّم فوائد جمة رغم عدم خلوّه من التحديات والاعتراضات . ينتقل المؤلف بعد ذلك لتفصيل مراحل تدوين المصحف؛ بدءًا من جهود التوثيق في حياة النبي، ثم توحيده في عهد أبي بكر الصديق، وصولًا إلى عملية الإعداد والنسخ في عهد عثمان بن عفان .يطرح المؤلف جدلًا حول قرارات عثمان بالإبقاء على نسخة واحدة وإتلاف النسخ الأخرى، وتأثير ذلك على قداسته من وجهة نظر بعض المعترضين، ثم يتطرق إلى الدور الذي لعبه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في تحسين المصحف .يتناول الكتاب بدقة موضوع القراءات القرآنية، والتي بدأت كمظهر من مظاهر التسامح وثراء النص، لكنها لاحقًا أُثبتت أنها أثارت جدليات كبيرة حول قداسة النص ووحدته. يشير المؤلف إلى الجهود التي بذلها ابن شنبوذ لمعالجة الروايات المتأثرة بمصادر شيعية، وصولًا إلى تقنين القراءات السبع المشهورة واعتماد سبعة أخرى تحفظية. يبرز كذلك الانقسامات والمقاومات، خاصة مع مصحف ابن مسعود، وما نتج عن ذلك من تداعيات دينية خاصة في السياقات العراقية والطوائف المختلفة كالإمامية والخوارج والمعتزلة .يتطرق المؤلف أيضًا إلى الترتيب الداخلي للسور، حيث وُضع المصحف وفق ترتيب تنازلي يبدأ بالسور الأطول وصولًا إلى الأقصر، وهو ترتيب يعكس أنماط الساميين والشعراء القدماء. لكن هذا الترتيب أثار ملاحظات عديدة لخلطه بين السور المكية والمدنية ولمخالفته للتسلسل الزمني للنزول، مما جعل قراءة المصحف تبدو وكأنها معكوسة زمنيًا. وأشار المؤلف إلى وضع سورة الفاتحة في بداية

المصحف لما لها من أهمية دينية مركزية .وفيما يتعلق بتقسيم القرآن إلى ثلاثين جزءًا، يرى المؤلف أن ذلك جاء لاعتبارات عملية متعلقة بالتلاوة والاحتفالات الدينية أكثر من كونه تقسيمًا ذا أساس نصي .يرى المؤلف أن هذا البناء المتبع يثير التساؤلات حول طبيعة نظام السور، وهل هو توقيفي أم اجتهادي؟ ويميل المؤلف في تحليله إلى نظرية الإلهام الإلهي لتفسير ترتيب المصحف كما نعرفه اليوم .يناقش الكتاب أيضًا تنوع موضوعات القرآن وأسلوبه المتميز بسجع خاص انعكس على قوته التعبيرية ورنّته الموسيقية، مع الإشارة إلى أن تسميات السور كانت تقليدًا قديمًا غالبًا ما يُستمد من الآيات الأولى أو الإشارات المحورية فيها .ختامًا، يشدد الكتاب على التحديات التي تواجه فهم القرآن خاصة لدى غير الملمين بالعربية، والجدل الذي يثار حول ترابط نصوصه وطبيعة تنظيمه .يرى المؤلف أن إدراك الخلفية التاريخية والظروف التي صاحبت نزول الوحي هي المفتاح لفهم النص القرآني بشكل أعمق وأكثر انسجامًا، وهو ما حاول المستشرق نولدكه تناوله وتحليله بعمق.

الفصل الثاني: الرسالة القرآنية في مكة:

في بداية الفصل، تناول الحديث عن اللحظات الأولى للدعوة الإسلامية، مستعرضًا تسلسل نزول سور القرآن من الأطول إلى الأقصر، مبتدئًا بسورة النجم .أشار إلى كيفية اضطراب خيال النبي محمد عند سماعه لآيات تتحدث عن الساعة والحساب، وذلك وفق رؤيته .ثم أوضح أهمية الفن القصصي واستخدام الطباق في الآيات المكية، وهو أسلوب قريب للشعر الذي كان يتميز به العالم السامي عامة والعرب خاصة، حيث يحمل هذا الأسلوب تأثيرًا قويًا على العقول .كما تناول أهمية التذكير بالنعم والملذات الجنة، إذ يُعتبر ذلك أحد أبرز أساليب الترغيب، بجانب التركيز على موضوع الألوهية وصفات الله المتسمة بالرحمة والشفقة تجاه الخلق .وأضاف الحديث عن المهمة التي أُسندت إلى النبي محمد ورسالته التي جاء بها، والتحديات التي واجهها مع الوثنيين، وكيف شدد القرآن في شجبه لمظاهر الضلال .وأشار إلى أن النصوص اللاحقة تحمل موضوعات مختلفة مثل هجر الوثنيين، الحث على التوبة

والصدقات، وقيام الليل .كما لفت الانتباه إلى دور سورة الفاتحة في العبادة المبكرة، مؤكدًا أنها كانت بمثابة فاتحة التعبد عند الأوائل المسلمين، مقارنة بفاتحة الصلاة المسيحية. وفي العموم، اتسمت السور المكية الأولى بأسلوب موحّد من ناحية القوافي والتكرار والسجع، بجانب استخدام القسم الكوني والطابع الغنائي المؤثر .ثم استعرض الفترة الثانية من الدعوة المكية التي امتدت بين سورتي الكهف والنجم، والتي تتسم نصوصها بطولها وتعدد عناصرها مقارنة بالفترة الأولى .وشملت هذه المرحلة أيضًا كثرة وصف الله باسم الرحمن، وبروز التناقض بين الأمة المسلمة الناشئة وخصومها، مع التأكيد على توحيد الألوهية .أوضح الكاتب كيف اعتمدت الدعوة في تحقيق غاياتها على استرجاع القصص المرتبطة بالأقوام السابقة مثل عاد وثمود ولوط ونوح .هذه القصص استُمدت من التقاليد القومية وقصص التوراة مع صبغة مميزة تضفيها جماليات اللغة العربية، مما أعطاها طابعًا مختلفًا عن النصوص التوراتية .كما أشار إلى تغير ملحوظ في أسلوب هذه النصوص مقارنة بالمرحلة الأولى، ضاربًا بعض الأمثلة التي تدعم رؤيته، وموضحًا خطاب القرآن المتوجه بالنداء }يَا أَيُّهَا النَّاسُ{، وكيف توسع ليشمل مختلف الفئات من المدنيين وسكان مكة .أضاف أن الموضوعات التي تميزت بها هذه الفترة تم تصنيفها إلى ثلاثة محاور رئيسية :التذكير بأخلاق الأنبياء السابقين، بيان الإسلام كدين للرحمة والقوة السامية، والدعوة للأمة الناشئة بالالتزام بالتقوى والاستسلام للمقادير .خلال هذه المرحلة، عندما كان يذكّر القرآن بإخفاق الأنبياء السابقين مع أقوامهم، كان النص يضع نظامًا تاريخيًا يوضح تسلسل إرسال الرسل ونهاية المعارضين المشابهة لسابقاتهم .كما لفت إلى بروز تطور جديد ومثير حول شخصية النبي إبراهيم الذي أصبح مؤسسًا لمفهوم الحنفية وعبادة الكعبة في التصور الإسلامي الجديد.

الفصل الثالث: رسالة القرآن في المدينة:

في هذا الفصل، تناول بلاشير هجرة النبي محمد إلى المدينة المنورة، مؤكدًا كيف بات زعيمًا لأمة تحكم باسم الله .وبيّن كيف تطوّر الإسلام ليأخذ صيغة إطار شامل يجمع بين الجانبين الديني والاجتماعي، يخضع فيه أتباعه لشريعة جديدة .كما ناقش علاقات النبي مع الطوائف اليهودية في المدينة ومع مشركي مكة، مشيرًا إلى المناورات العسكرية التي قادها، وإلى براعة النبي في أداء مناسك العمرة، بالإضافة إلى ذكاء أصحابه في صلح الحديبية الذي مهّد للانتصار والفتح ووسع نفوذ الدولة الإسلامية على قبائل الجزيرة العربية حتى وفاته .ثم أشار إلى العلاقة الوثيقة بين تطور الأمة في المدينة والآيات السماوية التي عززت من قدرتها على مواجهة التحديات، ملاحظًا أن السور المدنية في القرآن ليست متتابعة أو مرتبة بحسب الأحداث التاريخية، بل تتسم بتداخل المواضيع؛ وهو ما يظهر بشكل واضح، وفق رأيه، في سور مثل البقرة والنور، حيث تبدو الأجزاء منفصلة عن بعضها .وأوضح أن القيمة الإلزامية للوحي ازدادت في مجتمع المدينة بفضل تأثير النبي محمد كنبي وزعيم يتمتع بجاذبية شخصية ونفوذ. وأشار إلى أن الأوامر الإلهية كانت دائمًا ترتبط بتنفيذ عملي عبر شخص النبي كإنسان حاضر بين أتباعه. تحدث أيضًا عن أسلوب الخطاب المدني وموضوعاته، التي رأى أنها تفتقر للترتيب التاريخي مقارنة بالكتب المقدسة الأخرى، بعكس ما يدعيه المفسرون من عمق المعاني .وأشار إلى الآية 64من سورة الأنفال كمثال على انشغال النصوص بتعزيز إيمان المؤمنين وتحقير الكافرين وبيان أن النصر من الله، ولكنه مخصص فقط للمتقين .تابع الحديث عن العلاقة بين المسلمين واليهود بالتفصيل، مع تكرار ما سبق ذكره عن النبي إبراهيم مع إضافات جديدة .كما عرج على علاقات المسلمين بالطوائف المسيحية، مشيرًا إلى التغير في لهجة النصوص من دعوة إلى تبشير إلى صيغة أكثر شجبًا بسبب المواجهات الأولى مع الدولة البيزنطية، حيث اجتمع المسيحيون واليهود تحت خطاب مشترك يُدينهم .اختتم بلاشير تحليله بالحديث عن مكانة النبي العالية ودوره في حل القضايا الحساسة مثل حادثة الإفك وأحداث مرتبطة بعلاقاته الشخصية مع نسائه وردود الفعل تجاه

المنافقين والمهتدين الجدد .وفي نهاية الفصل، لخّص محاور الدعاية للإسلام باستخدام الشعراء والثناء المتأخر على المُدّاحين عقب الانتقادات الأولى لهم .أشار أيضًا إلى السمات العملية لتلك الفترة مثل تنظيم تقسيم الغنائم، الفوارق بين الجنسين، الأحكام المتعلقة بالعبادات، المحرّمات الأخلاقية والجنسية والغذائية، وبعض فرائض الكفاية كالقتال في سبيل الله.

الفصل الرابع: الواقعة القرآنية وعلوم القرآن:

تناول المؤلف في هذا الفصل ما يتعلق بالقرآن من حيث وظيفته وأصله، مشيرًا إلى أنه، كأي نص مقدس، كان من الطبيعي أن يمر بمصير مشابه بعد ألف سنة .أوضح أن "الواقعة القرآنية "تتجلى فيما أحدثه النص القرآني من تحولات عميقة سياسية واجتماعية وأخلاقية وفكرية .كما اعتبر أن حب الاطلاع الذي أثاره النص شكل الأساس لعلوم القرآن، وأن دخول الإسلام في الحضارة ارتبط بوعي لغوي عميق، حيث كانت رسالة النبي محمد مستمدة من مفهوم متأصل في الإرث الثقافي السابق، يعكس القيمة الكبرى للغة وتأثير الكلمة .كما طرح تساؤلًا معقدًا حول اللغة التي استخدمها النص القرآني :هل كانت لهجة مكة المحلية أم لغة فصحى مشتركة تتجاوز حدود اللهجات البدوية؟ أشار إلى أن علماء الكلام في القرن الثامن الميلادي تناولوا هذه المسألة استنادًا إلى القياس، لكنه لم يغفل عن إبراز نقطة الخلاف المتعلقة بثنائية اللغة الشعرية في مقابل النص القرآني .شدد على أن هذا الافتراض قد يؤدي إلى فكرة أن القرآن استمد مكانته كلغة دينية بسبب ارتباطه بالوحي، على الرغم من جذوره في اللغة الأدبية ذات الطبيعة السحرية القديمة .وتعمق في الحديث عن الجهود المبذولة لتحسين وضبط لغة القرآن، مستعرضًا تطوير القواعد النحوية والصرفية والإملائية لمعالجة التحديات التي فرضها عدم اكتمال الجهاز الخطي والكتابات السامية القديمة .أشار أيضًا إلى تراجع الخط الكوفي تدريجيًا لصالح الخطوط الأحدث التي تكيفت

بشكل أفضل مع احتياجات العصر رغم محدوديتها .ثم بيّن التأثير العميق للقرآن على نشوء النظريات النحوية وظهور الدراسات اللغوية والتاريخية .وتطرق إلى إسهامه في تطوير مدارس التفسير اللغوي، خاصة مدرسة البصرة، إضافة إلى علم المعجم وعلم البيان والبلاغة .كما أشار إلى جدلية القراءات القرآنية المتعددة مع التسليم بشكل المصحف الواحد، بالإضافة إلى إدخال الخصوصيات اللفظية في التلاوة .انتقل بعدها لبحث التشابه بين النصوص المكية ومظاهر السجع التي عرفها الكهان، وما أثار ذلك من اتهامات قريش للنبي محمد بأنه شاعر أو كاهن بسبب التأثير النفسي والجمالي العميق للنص القرآني .رأى المؤلف أن هذا الاتهام ذاته يعكس إعجابهم الضمني بجوانب النص الأدبية التي جعلته يتفوق على كل ما عرفته الإنسانية سابقًا من إبداعات أدبية .واستشهد بإيمان بعض الشخصيات مثل الجن وعمر بن الخطاب تأثرًا بسماع القرآن .خلص المؤلف إلى الإشارة إلى كون إعجاز القرآن يتجاوز مضمونه وتعاليمه، ليشمل قيمته الأدبية التي لم يسبق لها مثيل .ولفت إلى دور الباقلاني والفكر الهليني في تأسيس علم البيان، مع إبراز تأثير شخصيات مثل الجرجاني وعبد العزيز السلمي .اختتم الفصل بالتأكيد على أن "الواقعة القرآنية "ليست مجرد مثير فكري بل هي قوة مبتكرة ذات جوهر فاعل شكلت الأساس لعلوم القرآن وعلى رأسها علم التفسير الذي اعتبره المؤلف ملك هذه العلوم بلا منازع.

الفصل الخامس: التفسير القرآني أصوله وأغراضه:

بدأ الفصل بطرح فكرة أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان يفسر القرآن وفقًا للوقائع والأسئلة التي كانت تطرح عليه أثناء حياته، ثم انتقل الصحابة إلى أداء دور مشابه بعد وفاته .ومن بين العوامل التي أثرت في عملية التفسير كان عدم نضج الخط العربي في ذلك الزمان، مما أدى إلى وجود بعض الغموض في النصوص. هذا الغموض عزّز من فطنة القرّاء إلى النصوص، وغالبًا ما ساعد تنوع القراءات في إيجاد حلول لبعض الإشكاليات

النصية .ورغم ذلك، أدت بعض التفسيرات غير المعتبرة إلى نشوء اختلافات عقائدية ونزاعات كلامية .كما أن التعمّق في تحليل النص القرآني سلط الضوء على مشاكل القراءات المتعددة وخطرها، مع الإشارة إلى الجدل الذي أثير حول رؤية الشيعة تجاه مصحف عثمان، سعياً لفهم أسباب ومحددات عملية التفسير .خلال هذه المناقشة، أُبرز الشغف الكبير لدى المفسر المسلم الذي يسعى لعدم التغافل عن أي دلالة ضمن النصوص القرآنية، سواء كانت واضحة أو غامضة. إلا أن هذا الفضول المستعر بشكل مفرط قاده أحيانًا إلى الإسراف في التخيل. بعد ذلك، تطرّق النص إلى مفهوم الإجماع وأهميته في دراسة تاريخ التفسير القرآني كعنصر أساسي للحفاظ على الشروحات من الانحراف .وتم تسليط الضوء على منهجين رئيسيين :التفسير اللفظي القريب من المعاني الظاهرة، والتفسير التأويلي الأكثر عمقًا وتحليلًا .كما قُسم المفسرون إلى فئتين :الأولى تحترم الأصول العلمية والإجماع، والثانية تميل إلى البحث والتحليل بعيدًا عن الضوابط .تناول النص أيضًا مبدأ قبول النسبية في بعض شروحات التفسير، خاصة إزاء المقاطع الغامضة التي جاءت بمفاهيم لا نهائية لفهم القرآن .هذا النهج تشكّل على يد محدّثين عملوا على نقل الروايات التفسيرية، ومن الأسماء البارزة التي عززت الصلة بين الجيل الأول والثاني من التابعين كانت عكرمة ومجاهد. ولم يغفل النص عن دور القُصّاص الذين انتشروا في العراق وسوريا والحجاز، وتحديدًا أولئك الذين تأثروا بالثقافات اليهودية والعربية الجنوبية مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه .لاحقًا تطور التفسير ليأخذ طابع التنظيم واحترام القواعد، مع الابتعاد عن المنقولات غير الموثوقة، وقد سلط الكاتب الضوء على محاولاته الشخصية لتقديم تفسير بالحديث كأفضل نموذج لذلك .كما تناول جهود الطبري ومناهجه التي تأثرت برؤى المعتزلة والقدرية وأيضًا الاتجاهات الصوفية والباطنية، وصولًا إلى دور الرازي ومنهجيته الحججية .

في ختام النقاش أشار الكاتب إلى أهمية مواءمة علم التفسير مع متطلبات كل عصر بما يخدم الأجيال الجديدة .ولقد أتى أبو حيان بتفسير يلبّي تطلعات العصر آنذاك، تبعه

البيضاوي والنسفي والسيوطي بأعمال تجددت أيضًا بمرور الزمن .ومع مواجهة الأمة لعديد من الأزمات الفكرية والاجتماعية، ظل التفسير يتطور لمواكبة هذه التحديات. وظهر لاحقًا كل من تفسير الوهابية ومدرسة المنار بطريقة مختصرة .تطرّق الكاتب كذلك إلى تفسير طنطاوي جوهري الذي وُصف بالسطحية والعجلة وعدم العمق، واختتم بالحديث عن تفسير المراغي الذي مَيزه بطابعه الموعظي ورفضه للتطرف وبساطته في الوصول لفهم شريحة أوسع من الناس.

الفصل السادس: القرآن والسُّنة مصدر العقيدة والشريعة في الإسلام:

في البداية، تناول الفصل مفهوم السنة من حيث الأصل والقرآن والتعريف الاصطلاحي لها، موضحًا أنها تمثل المصدر المكمّل لفهم وتطبيق الوحي القرآني .أشار إلى أن القرآن والسنة مجتمعَين يشكلان القاعدة الأساسية لاستنباط العقيدة والشريعة، حيث تسهم السنة في تفسير وتوضيح ما ورد في القرآن، تمامًا كما يلعب التلمود دورًا في تفسير أسفار موسى الخمسة .تم التطرق إلى جهود العلماء الأوائل الذين طوروا منهجيات لمعالجة جميع الإشكالات التي تثيرها نصوص المصحف بالرجوع إلى السنة، مع تسليط الضوء على النسخ وضرورة عدم الاعتماد عليه بإطلاق في كل الحالات، مؤكدًا أهمية مكانة القرآن والسنة في بيان أصول الدين وأحكامه .تم الانتقال بعد ذلك إلى الحديث عن مدونة ابن إسحاق في السيرة النبوية، وما حفظته تلك المدونة من أخلاق النبي وتعاليمه .ناقش النص الفارق بين الطابع القرآني وقصص السيرة النبوية التي جاءت بصورة أكثر دفاعية وقابلة للتأويل وفقًا لسياقاتها التاريخية. استُعرض مثال على ذلك من خلال مقارنة أسلوب عرض القرآن لمعركة حنين بأسلوب كتب السيرة التي تأثرت بالمصادر المختلفة .أوضح بأن شخصية النبي محمد تجاوزت دوره كنذير لتتجسد كزعيم عظيم بفضل ما عكسته السيرة من تفسير لحياته. كما أشار إلى التقاليد اليهودية والمسيحية التي تظهر في قصص القرآن عن أنبياء مثل موسى

وإبراهيم وعيسى، بينما تبقى المعطيات الخاصة بالأنبياء العرب في السياق القرآني أكثر غموضًا.

أما القضايا العقدية الأساسية في الإسلام، فقد كشف القرآن عن تفاصيلها التي ساعدت المتكلمين في صياغة نظرياتهم، لكنه ترك قضايا مثل القدر والجبر موضوعًا للنقاش والتأويل بين المسلمين .تحدث النص عن كيفية استناد الأجيال الأولى إلى القرآن والسنة لتأسيس المذاهب الفقهية، مع الإشارة إلى الفروق بين المعطيات الواردة في السور المكية والمدنية بمصحف عثمان .تتبع الكاتب تطور الأحكام الإسلامية مثل الصيام وأحكام العدّة والخمر، مبينًا الأطر الفقهية والاجتهادات المختلفة للفقهاء حسب فهمهم لنصوص الوحي، كالخلاف حول تحريم الخمر وشروط قسمة الأنفال .شدد النص على كون القرآن المصدر الأساسي للاستنباط الفقهي، فيما تُعدُّ السنة خادمة ومفسرة للوحي. ورغم ذلك، أُشير إلى أن بعض الأحكام والمسائل تنطلق من مقدمات الحديث وأفعال النبي، مثل تحديد عدد ركعات الصلاة وتفاصيلها العملية. لفت الانتباه إلى ندرة الإشارات الواضحة في المخطوطات التي توثّق تطور الصلاة، بدءًا من كونها ركعتين في البداية ثم زيادتها لاحقًا وفق ظروف السفر والحضر، وذلك استنادًا إلى أحاديث مثل حديث عائشة وحديث الإسراء .أوضح النص أنه مع تطور الإسلام وتعدد القضايا المستجدة، اضطر الفقهاء إلى إدخال باب الاجتهاد والاستنتاج القياسي للتعامل مع ما لم يفصل فيه القرآن والسنة .ذكر أن هذا التطور لقي مقاومة من قبل أولئك المتمسكين بظاهر النصوص دون تأويل .وأخيرًا، تناول مساهمات الإصلاحيين مثل محمد عبده ممن نادوا بضرورة العودة للنصوص لأصلية من القرآن والسنة مع اعتماد التجديد في السياق الحديث بفهم أعمق للنصوص الشرعية والتاريخية.

الفصل السابع: القرآن في الحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي:

يتناول النص مكانة القرآن وتأثيره العميق في الفكر والثقافة الإسلامية، مشيرًا إلى دوره المحوري في تشكيل شخصية المسلم منذ الطفولة .يُبرز أن القرآن يرافق الفرد عبر مراحل حياته، مما يكسبه رهبة واحترامًا تجاه النص القرآني، ويؤكد على تجربة الحفظ التي تكاد تكون شاملة للأطفال في المجتمعات الإسلامية. هذا الارتباط الوثيق يُعزز علاقة المسلم بالقرآن ويشكّل جزءًا أساسيًا من هويته الروحية والثقافية .كما يشير النص إلى التغييرات التي طرأت على المدارس القرآنية تماشياً مع المؤثرات الجديدة، حيث أُدخلت إصلاحات على المناهج الدراسية وثقافة المعلم، وذلك في تعارض مع الصورة التقليدية التي أحاطت بالمعلم سابقًا .ومع أن شروط التعليم بقيت ثابتة، إلا أن الجوانب العملية كالأجرة والمناهج شهدت تحديثًا. يتحدث أيضًا عن تجربة التلميذ مع القرآن بدءً من التعلم وحتى الحفظ، مؤكدًا أهمية الوحي في تشكيل وجدان المسلمين من مختلف الأعمار .الذين لم يحفظوا القرآن في صغرهم يجدون أنفسهم لاحقًا في ضرورة للحفظ كي ينخرطوا بشكل كامل في إطار الدين الإسلامي . ورغم الانتقادات للتقاليد التعليمية القديمة، فهذا النظام لا يزال يُعتبر أحد الركائز الأساسية لحماية النص القرآني وانتشاره .يطرح النص أيضًا قضية فهم التلاميذ للنص القرآني ومدى ارتقاء المراهقين في الثقافة بعد استيعابهم مادة القرآن، ليجني المهتمون فائدتهم من علوم اللغة والأدب والفقه وغيرها .بينما تبقى الأغلبية التي لم تتأثر ثقافيًا بالقرآن مرتبطة به من منظور الإجلال الممزوج بالمخاوف غير الواقعية .في المشهد القروي، يظهر دور المخطِّين الذين يكتبون القرآن وكأنهم يحافظون على جو يقترب من السحر الذي يغلّف التعامل مع النص المقدّس، مما يتماشى مع تصورات شعبية قديمة .أما الذكريات المرتبطة بالطفولة، فإن المسلم غالبًا ما يستحضر اللحظات المبهجة المرتبطة بالمناسبات الدينية والقرآنية دون التوقف على الجوانب القاسية أو الفظة التي تلقاها أثناء دراسته .لكن النقاش حول القرآن وطبيعته لا يحدث بشكل واسع، ويبقى محصورًا لدى العقول النابغة التي تتجاوز الموانع والخوف لاكتشاف أبعاد جديدة لهذا النص العظيم.